حقوق النشر محفوظة للمرصد الوطني لحقوق الإنسان
نهج فرانكلان روسفلت ـ الجزائر ـ الجزائر

رقم الإيداع القانوني 98 ـ 531
ISBN : 9961 - 801 - 05 - 9

الطباعة الشعبية للجيش ـ العاشور

الإسلام والمغالطات حول العنف

الأستاذ رابح دوب جامعة قسنطينة . الجزائر

لعل الكلام حول العنف أو التطرف الديني يوحي للمستمع بأن الحديث يختص بالإسلام فقط، فينصرف الذهن إلى تلك الحركات الشاذة التي أساءت إلى تاريخنا كثيرا، أو إلى الحركات الدينية المتعصبة المعاصرة والتي يلفها الغموض ويقف الإنسان منها موقفا حائرا من المستقبل المبهم الذي ينتظر بلدان الوطن العربي والإسلامي.

والتطرف الديني المولد للعنف قد أصاب الحركات الدينية سواء أكان الدين صحيحا أم باطلا، منذ أن تعرف الإنسان إلى الفكر الديني.

فالدين يملك من السطوة والسيطرة على النفس البشرية مالا تملكه أي مؤسسة بشرية أخرى، تلك السيطرة التي تدفعه إلى الزجر وتهذيب الغرائز، فالدين قد بني كيانه على الحلال والحرام والقدسي وغير القدسي، فجاء بالأوامر والنواهي فهو مجموعة متناسقة من الإعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة. «وهو توجيه لسلوك الإنسان وفقا لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم ويطيب له أن يشعر بإتصاله بها».[1]

ومن هنا يمكننا أن ندرك مدى سيطرة المعتقد الديني على الإنسان وإمكانية إستغلال سلوكه وفق المفاهيم التي يعتقدها صحيحة، سواء أكان ذلك الإعتقاد تولد عن طريق الإقتناع الشخصي، أو عن طريق مؤثر خارجي لسبب معين يجعل الإنسان سهل التأثر به.

إن الدين في حقيقته جاء لسعادة الإنسان ولعمارة الأرض ولم يكن في يوم ما أداة لتعذيب الإنسان وإضطهاده وتخريب البلاد وتدميرها. لقد إستعمل الدين من قبل الفئات الشاذة على مر التاريخ ومن قبل المتحرفين أو الحاقدين أو الفاشلين إجتماعيا كأداة لمحاربة أنظمة الحكم والحركات الدينية النقية، فكثيرا ما ينحرف الفكر الديني إلى منعطفات خطيرة تبعده عن الغاية السامية التي جاء من أجلها.

فالإنحراف والتطرف هما وليدا فشل الإنسان من جهة، أو هما وليدا التفاعلات التي تقع بين المؤسسات الإجتماعية المختلفة فترتفع نسبة الإنحرافات السلوكية المؤدية إلى العنف الإجرامي «عندما يعتقد بعض الناس أن المراكز القيادية والإجتماعية لا توزع على الأفراد بصورة عادلة، فيظن هؤلاء بأن المجتمع لا يشجعهم على تحقيق أهدافهم وطموحاتهم التي يرونها مشروعة ومن ثم يحاولون تحقيقها باللجوء إلى إستخدام أشكال العنف المختلفة».[2]

الإسلام والتطرف!

الإسلام منهج وسط في كل شيء في الإعتقاد والتعبد والأخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع، وهذه الوسطية تعد إحدى الخصائص العامة للإسلام وإحدى المعالم الاساسية التي ميز الله بها أمة الإسلام عن غيرها ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونو شهداء على الناس﴾.

والأحاديث النبوية الشريفة كثيرة في هذا المجال، وكلها تحث على الوسطية وتحذر من التطرف، كقوله ﷺ : «إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين».

فالوسطية إذن صفة المسلمين، فهم كما قال الرازي «متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط، والغالي والمقصر في الأشياء لأنهم لم يغلو كما غلت النصارى فجعلوا إبنا وإلها، ولا قصروا كتقصير اليهود في قتل الأنبياء وتبديل الكتب وغير ذلك مما قصروا

فيه».[3] من هنا ندرك بأن الوسطية نقيض التطرف والتطرف هو مجاوزة الحد وفيما يلي أذكر بعض سماته :

1 ـ تقديم التشديد على التخفيف في الأحكام التي إختلف حولها الفقهاء مع أن النصوص واضحة في إلتزام التخفيف، وأن النبي عليه الصلاة والسلام ما خير بين أمرين إلا إختار أيسرهما مالم يكن إثما.

نعم قد يباح للمرء الأخذ بالرأي المتشدد ولكنه لا يلزم الناس بما يراه من تشديد.

2 ـ التعصب للراي والجمود عليه بحيث لا يعرف بآراء الأخرين، لذا تراه يؤول النصوص وإن خالف النصوص المعتمدة، ثم يحاول إلزام الغير بها مع أنه لا إكراه في الدين.

3 ـ التفكير بالطفرة في الفكرة والعمل من غير إعداد المقدمات اللازمة مع أن الإسلام دين تدرج، قال الشاطبي في الموافقات «يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن إبنه عبد الملك قال له : مالك لا تنفذ الأمور؟ فوالله لا أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق. فقال له عمر : لا تعجل يا بني فإن الله ذم الخمْر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة ويكون من ذا فتنة».[4]

4 ـ إتهام الطرف الآخر بالخروج عن الدين : فإذا نزع فقيه أو مفت إلى التيسير على الناس إتهم في دينه، ولم يقتصر الأمر على الأحياء بل شمل الأموات. فيقال هذا عميل الإستعمار، وذاك عميل النظام والآخر جاهل مدسوس إلى غير ذلك من الأوصاف القبيحة وقد يصل الأمر إلى تصفيته جسديا.

5 ـ الخشونة والفظاظة في الأسلوب : مع أن الله سبحانه يقول : ﴿إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾،

«ومما يدل على وجوب التلطف والرفق في خطاب الآخرين حتى المخالفين لنا في العقيدة ما إستدل به الخليفة المأمون، إذ وعظه واعظ وعنف له في القول، فقال : يا رجل أرفق، فقد بعث الله من هو خير منك - أي موسى وهارون - إلى من هو شر مني - أي فرعون - وأمرهما بالرفق، فقال تعالى : فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى».[5]

من هذه المنطلقات ندرك بوضوح بأن الدين الإسلامي لا علاقة له إطلاقا بما يحدث في الجزائر أو في العالم من عنف وإجرام وتقتيل فهو دين سلم وسلام، جاء تكريما للبشرية على إختلاف توجهاتها الفكرية والعقائدية والجنسية واللغوية. ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ وأعظم كرامة وهبها الخالق للإنسان هي الحق في الحياة : ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا...﴾.

وليعلم الجميع أنه لا ذنب للدين الإسلامي أو اللغة أو الديمقراطية أو حقوق الإنسان إذا إستعملت كغطاء عقائدي أو أيديولوجي أو سياسي لتبرير أعمال العنف والإجرام والتخريب التي تقوم بها الجماعات المسلحة وغير المسلحة.

بعض المقترحات لعلاج ظاهرة العنف والتطرف :

وهنا أود أن أقترح على المؤسسات المعنية بعض الوسائل والإجراءات التي أعتقد أن لها دورا فعالا في علاج الظاهرة.

أولا : المؤسسة الدينية :

على المؤسسة الدينية أن تقوم بتشخيص مواضع الإنحراف والخلل في أفكار حركات التطرف وفي مناهجها أن تبين المفاهيم الصحيحة والمناهج الحقة للإسلام عقيدة وشريعة مع التركيز على الأحكام والمبادىء التي تم تأويلها وتحريفها عن معانيها، من ذلك مثلا :

1 ـ إلقاء الضوء على أحكام «الجهاد» في الإسلام وتراثه الفقهي والواقعي وذلك لإستجلاء حقيقته الموضوعية الثابتة وظروفه المتغيرة حتى لا يندفع المسلم في عدوان عن جهل أو خطأ في التأويل.

2 ـ بيان مفهوم الإستشهاد وفلسفته، وهدف الإسلام منه ومن القتال، حتى لا يقتل مسلم نفسه، أو غيره في عملية إنتحارية عن جهل أو سوء فهم.

3 ـ تحديد مفهوم الحكومة، وفلسفة الحكم، وعلاقة الحكومة بالرعية..

4 ـ بيان مفهوم الكفر والشرك، والإيمان والإسلام حتى لا يندفع مسلم إلى تكفير الآخرين، وإستباحة دمائهم عن جهل أو سوء فهم، أو خطأ في التأويل.

5 ـ بيان المقصود من الجماعة التي دعت أحاديث الرسول ﷺ إلى لزومها عدم الخروج عنها، وذلك لأن كل حركة تدعي هي وحدها أنها «جماعة المسلمين» وأن من بلغته دعوتها ولم ينضم إليها فهو كافر، أو من يخرج عنها لما يراه من إنحراف وتعسف بأنه مرتد ولابد أن يقتل.

ثانيا : المؤسسات التعليمية :

على المؤسسات التعليمية مراعاة مايلي :

1 ـ تحديد أهداف التعليم عامة، والديني منه خاصة، وإعادة النظر فيها بما ينسجم مع قيم وفلسفة المجتمع وتطلعات أفراده.

2 ـ الإهتمام بمناهج التربية الإسلامية في كل المدارس من حيث مفرداتها وتأهيل الإطارات المتخصصة للقيام بتدريسها.

3 ـ إعادة بنية المدارس والمعاهد بصيغ معاصرة، بإعتبار أن النزوع الديني بقدر ماهو فطري يشكل عنصرا حاسما في حياة مجتمعاتنا مما لا يمكن الإستهانة به.

ثالثا : المؤسسات الإجتماعية :

على المؤسسات الإجتماعية والنفسية أن تتولى دراسة دوافع الرفض الإجتماعي، وغاياته وإنتشار موجات العنف والتمرد والرفض بين الشباب خاصة، وتقديم مقترحات تساعد على إختفاء الإستفزاز الإجتماعي، تمهيدا لعلاج ظاهرة الإنحراف.

رابعا : المؤسسات السياسية :

أما المؤسسات والمنظمات السياسية، فجدير بها أن تعمل على تعميق الممارسات الديمقراطية، وإتاحة الفرص للكفاءات على حد سواء، والإبتعاد عن كل ما هو سلبي يمكن أن يستغل من قبل بعض الحركات الدينية السياسية المتطرفة.

خامسا : المؤسسات الإعلامية :

على المؤسسات الإعلامية والثقافية أن تهتم بالإعلام الديني، وأن تستثمر وتوجه النزعة الدينية الفطرية السليمة عند قطاعات واسعة من الجماهير.

في الختام أود أن أشير إلى أن هذه المقترحات ماهي إلا مفاتيح وأن الأمر يتطلب تظافر الجهود وتخطيطا سليما، ومتابعة مستمرة هادئة لعلاج ظاهرة التطرف الديني المؤدي للعنف والإرهاب.

الهوامش :

1 - الأديان دراسة مقارنة : الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك ص. 18 - 19.

2 - معجم علم الإجتماع ص. 104 - 105.

3 - التفسير الكبير للفخر الرازي جـ . 4 ص. 98.

4 - الموافقات للشاطبي بشرح عبد الله دراز جـ . 2 ص. 93 - 94.

5 - إحياء علوم الدين للغزالي جـ . 2 ص. 329.

060 / 1110

المرصد الوطني لحقوق الإنسان

الملتقى الدولي حول

الأشكال المعاصرة للعنف وثقافة السلم

بمشاركة منظمة اليونسكو
ومساهمة المنظمة العالمية للصحة

الجزائر : 20 - 22 سبتمبر 1997